جهود الإمام الماتريدي في نقض الفكر المادي

إعداد

أ.د/ ثروت حسين سالم

أستاذ العقيدة والفلسفة ووكيل الدراسات العليا والبحوث

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ

جامعة الأزهر

جهود الإمام الماتريدي في نقض الفكر المادي

ثروت حسين سالم
قسم العقيدة والفلسفة ، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات ، جامعة الأزهر ، كفر الشيخ ، مصر
البريد الإلكتروني : tharwatsalem767.el@azhar.edu.eg

الملخص:

اتبعت المنهج العلمي في عرض الإمام لأدلته ومدى قوتها وكأنه يعيش بينا وهو كذلك يبطل أقوال المعارضين كأنها الساعة ، ثم أردف جانبا من مقالات الماديين ومن يردون الأمر الى الصدفة العمياء والطبيعة الخالقة في زعمهم من خلال بيان عقلي سطره العلماء في هذا الشأن وعضده اهل التجريب بيانا شافيا في الرد على بنى جنسهم ومن يتعصبون لمذهبهم . والأمر ليس جبرا على أحد أو خروجا عن نطاقه فدعوة الاسلام التسامح واللين والرأفة انطلاقا من قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" ولكن بيان واضح لتعاليم الإسلام وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهي مشكاة واحدة ينبثق نورها من مداد إلهى. وهذا ما فعله الامام الجليل من خلال عرضه لرؤى الأخرين وبيان الصراط المستقيم بالدعوة للتي هي أحسن ،وإطلاله عامة تبين مدى أصالة التراث الإسلامي وقوته ومهما كاد الاخرون ليلا أو نهارا سرا وعلانية فلن يستطيعوا طولا هدم التراث واربابه الاعلام الكرام لانهم يعادون فطرهم ويخافون واقعهم وصدق الله الجليل إذ يقول "ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير". وتبقى كلمات الإمام ومؤلفاته نبراسا يهتدى به إلى قيام الساعة ،وكأن هذا العلم يرهص لغيره ما يدعيه هؤلاء وواجبنا نحوهم منطلقا من كتاب الله تعالى وسنة حبيبنا صلى الله عليه وسلم فى الرد على هؤلاء غير متجاهل تماما لدور العقل وبيانه الشيق. وتوصي الدراسة بضرورة التركيز على الفكر الماتريدي داخل جميع المؤسسات العلمية لأنها تمثل أحد جناحي مذهب أهل السنة والجماعة من ناحية، ومن جهة أخرى تمثل جانبا عمليا يتعلق بالتكاليف العلمية وتطبيقها على الدراسات الحديثة لأنها بمثابة انفتاح عقلي وعملي دفعا وصدا منيعا لكل المخالفين والمشككين في العقيدة

الكلمات المفتاحية : جهود – الماتريدي – – نقض – الفكر – المادي

mam matridi's efforts in vetoing material thought

Tharwat hussein salem

Department of Belief and Philosophy, Faculty of Islamic and Arabic studies for Girls in Kafr El Sheikh , Al Azhar University , Kafr El-Sheikh, Egypt

E-mail: tharwatsalem767.el@azhar.edu.eg

Abstract :

I followed the scientific method in presenting the imam to his evidence and the extent of its strength as if he lived among us and he also nullifies the statements of the opponents as if it was the hour, then added part of the articles of the materialists and those who return the matter to the blind chance and the creative nature in their claim through a mental statement written by the scholars in this regard and his supporters of the people of experimentation a clear statement in response to the structures of their gender and those who are fanatical to their doctrine. the matter is not forced or out of scope. The call of islam is tolerance, softness and compassion, based on the words of god almighty, may god bless him and grant him peace, “we have not sent you but mercy to the worlds”, but a clear statement of the teachings of islam and all the prophets, peace and blessings be upon them, it is one problem that emanates from the divine outfit. This is what the imam al-jalil did by presenting the visions of others and clarifying the straight path by calling for those that are better, and his general appearance shows the extent of the authenticity and strength of the islamic heritage, and whatever others have almost night or day, secretly and publicly, they will not be able to demolish the heritage and his esteemed masters of the media because they repeat their fungi and fear their reality and the sincerity of god as he says, "does he not know who he was, who is the kind and expert?" and the words of the imam and his writings remain a guiding light to the rise of the hour, as if this science paves to others what they claim and our duty towards them is based on the book of god almighty and the sunnah of our beloved, peace and blessings of god be upon him, in responding to these people, completely ignoring the role of reason and its interesting statement. The study recommends the need to focus on matrid thought within all scientific institutions because it represents one of the two wings of the doctrine of the sunnis and the community on the one hand, and on the other hand it represents a practical aspect related to scientific costs and its application to modern studies because it is a mental and practical openness and a defensive push against all violators and skeptics of the belief

Keywords: efforts - matrid - veto - thought – material

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، رفع العلم وأهله وجعلهم ورثة الأنبياء، والصلاة والسلام على إمام المرسلين الرحمة المهداة والنعمة المسداة سيدنا محمد سيد الخلق أجمعين، وعلى أله وصحبه وسلم أفضل صلاة وأتم تسليم ... وبعد

فمن المعلوم أن الفكر المتطرف بصوره المختلفة ومنها الإلحاد وإنكار وجود الذات الإلهية ليس وليد الساعة بل جذوره ممتدة عبر التاريخ، ولقد قيد الله تعالى لدينه رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر لمواجهة تلك الحملات الفكرية والطغيان المادي الذي أهلك الحرث والنسل واستقطب شباب الأمم إليه مكرا بالليل والنهار، وعمل بكل سبله على إضعاف شوكة المسلمين وذهاب ريحهم ونزع الثقة منهم وجعلهم عالة على غيرهم .ولايزال أربابه إلى يومنا هذا ما برحوا فكرهم يسعون في الأرض فسادا متخذين من الشعارات والأماني الكاذبة ستارا لهم لبث سمومهم بعد أن خفت سيطرتهم السلاحية . ولن تتوقف تلك الحرب الفكرية فألسنتهم حداد يلوونها محرفين الكلم عن مواضعه عصبية وهوى، واتباعا لسبل الشيطان وطرقه ولكن كيدهم كان ضعيفا ونورهم يأفل في وجه الأعلام الكرام مصابيح الدجى وأعلام الهدى عبر العصور المختلفة ،ومن هؤلاء الأفذاذ الذين سطروا بتراثهم نورا وضياء ملأ الدنيا علما وذاع صيتهم بشتى بقاع الأرض العالم الجليل إمام الهدى وقدوة أهل السنة والجماعة قالع أضاليل الفتن ومثبت الناس بإذنه تعالى على طرق الصواب الشيخ الإمام أبى منصور الماتريدي الفقيه الحر صنو إمامنا

أبى الحسن الأشعري واللذين انطلقا من مظلة تقى متبعها سبل الغواية من العقل والنقل امتزجا علمهما إفحاما للمجادلين واقناعا للحيارى والأميين حاملين لواء الوسطية الإلهية والنور النبوي شعارا لهما رافضين التسليم الأعمى لكل ما يطرح من قضايا شاحذين الهممم لمواجهة الفكر المتطرف والمنحرف وهى مندوحة لتراثنا الفكري والذى تناوله البعض بالطعن والنقض غاضين البصر عنه لعدم قراءته جيدا مقلدين السفهاء في فكرهم ومتعالين عن النظر فيما تركه الأعلام الكرام الذين هم بحق ورثة الأنبياء والذين حافظوا على وحدة الأمة على مدى ألف عام أو يزيد معلين البواعث الثقافية والفكرية ناهيك عن الحضارات المادية والعلمية في شتى الميادين وما آثارهم العمرانية الخالدة في بطون التواريخ عنا ببعيد ولكن القوم نسوا وتناسوا الموضوعية الفكرية المنطلقة من قوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ (١) وتجردوا من أي منهج علمي كما يدعون ذلك . ومن أجل هذا عقدت تلك الصفحات بإذنه تعالى لأبين من خلالها مظهرا متهافتا لمن يرمون التراث وأهله بألسنتهم ويبغونها عوجا من خلال إبراز قضية وجود الله تعالى والتي ذكرها إمامنا الجليل من خلال كتبه مبرهنا عليها بأدلة مختلفة منتقيا دليلا واحدا مما ذكره الإمام مدحضا به آراء الماديين ودعاة الإلحاد حديثا . وتبقى كلماته ومؤلفاته نبراسا يهتدى به إلى قيام الساعة ، وكأن هذا العلم يرهص لغيره ما يدعيه هؤلاء وواجبنا نحوهم منطلقا من كتاب الله تعالى وسنة حبيبنا – صلى الله عليه وسلم – في الرد على هؤلاء غير متجاهل تماما لدور العقل وبيانه الشيق.

(١) سورة سبأ الآية ٢٤.

الفرع الأول :- بين يدى البحث :-
الإمام بداية ومآلا

الإمام أبو منصور الماتريدي من كبار علماء أهل السنة والجماعة، ومن أبرز الشخصيات الإسلامية التي كان لها دور مهم في شرح عقيدة أهل السنة والجماعة وتوضيحها بالنقل والعقل. ينتسب إليه اليوم أكثر من خمسين بالمائة من سكان العالم الإسلامي[١]. وهو إمام المدرسة الماتريدية التي يتبعها غالبية أتباع المذهب الحنفي في العقيدة، وقد استفاد من آراء أبي حنيفة الكلامية، ولكنه لم يكن مجرد شارح ومفصل لطريقة أبي حنيفة، بل كان مبتكراً، له منهجه الخاص به، وهو أحد مجددي الإسلام في زمانه، وينتهي نسبه إلى الصحابي أبي أيوب الأنصاري، مضيف النبي الذي نزل عليه في دار الهجرة بعد هجرته من مكة إلى المدينة[٢].

يذكره كمال الدين البياضي فيقول: الإمام أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي الأنصاري. وهو علم من أعلام الفكر الإسلامي، وكان له دور كبير في نصرة عقائد أهل السنة والرد على أهل البدع والضلالات[٣].

وقد لقبه أصحابه بألقاب مختلفة ؛ منها " : إمام الهدى"، و"علم الهدى"، و"إمام المتكلمين"، و"مصحح عقائد المسلمين"، و"رئيس أهل السنة"، و"قدوة أهل السنة والاهتداء"، و"رافع أعلام السنة والجماعة"، و"قالع أضاليل الفتنة والبدعة (فهذه الأوصاف والألقاب

(١) هدية العارفين ٢/٣٦ ، الاعلام ٢/٢٤٢.

(٢) إتحاف السادة المتقين –الزبيدى ٢/٥ .

(٣) إشارات المرام –البياضى ٢٣ وينظر الروضة البهية ٤ اعلام الاخيار الكفوى ١٣ وما بعدها .

تدل على عظمة مكانته في نفوس أصحابه، وإلى دور بارز تحقق له في نصرة السنة والدفاع عنها، حيث نهض الماتريدي في الأقاليم الشرقية من العالم الإسلامي، ونهض أبو الحسن الأشعري في الأقاليم المتوسطة لمجابهة ذوي الأفكار المتطرفة. فالإمام الماتريدي وُلد تقريباً بعد مائة عام من وفاة الإمام أبي حنيفة، والإمام الأشعري تبنى عقيدة أهل السنة بعد مرور الثلث الأخير من عمره. وكلهم قد تبنّوا منهجاً مماثلاً وطبّقوه، فاستطاعوا بمرور الزمن أن يشكّلوا مدرسة كلامية سنية انتسب إليها أكثر من تسعين بالمائة من مسلمي العالم الإسلامي(١).

حياة الإمام الجليل :-

عاش الإمام الماتريدي في سمرقند وقد تولى مُلك سمرقند: آل سامان، وهم من قرية بنواحي سمرقند يقال لها سامان، وهم من أحسن الملوك سيرة وإجلالاً للعلم وأهله، وقد كانت الأحوال السياسية والفكرية في بيئة الماتريدي مرتبطة بالأحوال السائدة في الدولة الإسلامية، فقد شهدت الدولة في النصف الثاني من القرن الثالث والرابع للهجرة انقسامات سياسية خطيرة أدت إلى تعدد مناطق النفوذ، ولقد ساعد على هذا الانقسام ضعف الخليفة العباسي في بغداد(٢).

وأما الحالة العلمية فكانت أنضج منها في العصر الذي قبله، فقد أخذ علماء هذا العصر ما نقله المترجمون قبلهم فشرحوه وهضموه، وكانت النتيجة لذلك نهضة علمية كبيرة وتعدد مراكز العلم في أرجاء الدولة الإسلامية، هذا وقد كانت الدولة العباسية تعاني من الضعف إلى أن جاء المتوكل ابن المعتصم إلى الخلافة سنة (٢٣٢ هـ) –أي في

(١) ينظر الكامل ابن الاثير ٢٣٤/٤ –٢٣٦.

(٢) معجم البلدان الحموى ١٥٣/٣ آثار البلاد وأخبار العباد القزويني ٥٣٥ دار صادر .

سنوات طفولة الماتريدي- فأمر بإبطال المحنة والنهي عن الجدال في القرآن، وبعد عامين رد المتوكل على الفقهاء وأصحاب الحديث حريتهم، وأحسن إليهم، وأذن بأن يجلسوا إلى الناس ويحدثونهم في قضايا التوحيد، وعزل المعتزلة .وبذلك فقد عاش الماتريدي في عصر الجدل والمناظرات بين المعتزلة وأهل السنة، وتفقه في العلم على أئمة العلماء في عصره الذين أخذوا العلم عن سلسلة من العلماء تنتهي إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة(١).

كان الإمام الماتريدي فقيهاً حنفياً ومتكلماً على مذهب أهل السنة، وخصماً للمعتزلة، وإليه تنسب الماتريدية أو المذهب الماتريدي، ولقد انتشرت الماتريدية وكثر أتباعها في ما وراء النهر، وانتشرت فيما بعد في عهد الخلافة العثمانية في بلاد الشام ومصر وكثر أتباعها، وشاعت آراء الماتريدي في البلاد التي ساد فيها المذهب الحنفي، وبخاصة فيما وراء النهر، والهند، وباكستان.

مولده : (٢) – ولد بماتريد أو ماتريت (بضم التاء) وهي محلة بسمرقند في بلاد ما وراء النهر، ويوصف بالماتريدي تارة، وأحياناً تضاف نسبته إلى سمرقند، فيقال: أبو منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي السمرقندي، وكنيته: أبو منصور. وقد اتفق المترجمون له على أنه توفي عام ٣٣٣ هـ، ولم يعيّنوا تاريخ ميلاده، ولكن يمكن تعيينه على وجه التقريب من جانب مشايخه الذين تخرج عليهم في الحديث، والفقه، وعلم الكلام، فإن أحد مشايخه هو نصير

(١) إتحاف السادة المتقين – الزبيدى ٢/٥ وينظر تاريخ الخلفاء السيوطى ٣٢٠.

(٢) الانساب المعانى ت٥٢٦ ط مجلس دائرة المعارف ١٩٦٣ م .واللباب في تهذيب الأنساب لأبى الحسن على الجزرى ت ٦٣٠ ط دار صادر ١٩٨٠م .

ابن يحيى البلخي المتوفّى عام ٢٦٨ هـ فلو تلقّى عنه العلم وهو ابن عشرين يكون هو من مواليد عام ٢٤٨ هـ، أو ما يقاربه و ينتهي نسبه إلى الصحابي أبي أيوب الأنصاري، مضيف النبي – صلى الله عليه وسلم – في دار الهجرة، وقد وصفه بذلك الإمام كمال الدين البياضي في إشارات المرام [١] .

مشايخه :- إن المراجع لم تذكر إلا القليل من مشايخه الذين تلقى علومه عنهم إلا أنهم جميعًا يصل سندهم في العلم إلى الإمام الجليل أبي حنيفة النعمان، وقد ذكر صاحب "الجواهر المضيئة" أن الماتريدي تخرج بأبي نصر أحمد بن العباسي بن الحسين العياضي، وتفقه على أبي بكر أحمد الجوزجاني ونصير بن يحيى البلخي، ومحمد بن مقاتل الرازي[٢] .

أما أبو نصر العياضي وأبو بكر الجوزجاني فقد تفقها على الإمام أبي سليمان موسى بن سليمان الجوزجاني، وهذا الأخير تفقه على صاحبي أبي حنيفة :أبي يوسف القاضي ومحمد بن الحسن الشيباني الذين تفقها على أبي حنيفة. وأما نصير البلخي ومحمد بن مقاتل الرازي فقد تفقّها على الإمامين أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي، وأبي مقاتل حفص بن سلم السمرقندي الذين تفقها على الإمام أبي حنيفة كذلك [٣] .

وأما علومه:- فقد دارت حول تأويل القرآن الكريم وأصول الفقه وعلم الكلام وما يتعلق به، وقد درس العلوم العقلية، كما درس العلوم النقلية درسًا متقنًا عميقًا، ووقف على دقائقها حتى صار إمامًا مبرزًا في الفقه والتأويل وعلم الكلام .

---

(١) إشارات المرام من عبارات الامام كمال الدين البياضى ط دار الحلبى ١٣٩٨ه .

(٢) الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ابو الوفا القرشى ت د عبد الفتاح الحلو ط دار احياء الكتب العربية .

(٣) العقيدة الماتردية ،رسالة دكتوراه مخطوطة رقم ٧١٨ جامعة القاهرة .

وبعد أن نال القسط الوفير من الثقافة والعلم انصرف إلى التدريس والتثقيف، فصنّف وألّف وكرّس حياته لحماية الإسلام ونصرة عقيدة أهل السنة والجماعة حتى وصفه العلماء بأنه كان إمامًا جليلاً، مناضلاً عن الدين، موطدًا لعقائد أهل السنة، قطع المعتزلة وذوي البدع في مناظراتهم، وخصمهم في محاوراتهم إلى أن أسكتهم .

أما مؤلفاته :- فهي دالة على أنه كرّس حياته للعلم لحراسة العقيدة والرد على المنحرفين في عقائدهم، فألف في الفقه والأصول وعلم الكلام، والتفسير، ومن مؤلفاته المنسوبة إليه: كتاب التوحيد، والمقالات، ورد أوائل الأدلة للكعبي، ورد تهذيب الجدل للكعبي، وبيان وهم المعتزلة، ووعيد الفساق ورد الأصول الخمسة لأبي عمر الباهلي، والرد على أصول القرامطة، ومآخذ الشرائع في أصول الفقه، والجدل في أصول الفقه، ورد الإمامة لبعض الروافض، والدرر في أصول الدين، وله كتاب جليل في تفسير القرآن وهو تأويلات أهل السنة، وهو من أهم ما صنف الإمام الماتريدي، وقد قال عنه ابن أبي الوفاء القرشي الحنفي: "وهو كتاب لا يوازيه فيه كتاب، بل لا يدانيه شيء من تصانيف من سبقه في ذلك الفن[1].

وقد ذكره بهذا العنوان صاحب "كشف الظنون" ، لكن نسخة "كوبريلّي" عنونت بـ"تأويلات الماتريدي في التفسير"، وأما أصحاب الطبقات فقد ذكروه باسم "تأويلات القرآن" وهذا الاسم تحمله النسخ الأخرى الموجودة في تركيا والهند وألمانيا والمدينة المنورة ودمشق

(١) ينظر كشف الظنون ١١٣ وما بعدها ط دار سعادات . ينظر "المقدمة "لتوحيد –الامام الماتريدى ت فتح الله خليف ١٩٧٠م ط لبنان.

والمتحف البريطاني وطشقند. ولعل الكتاب كان يحمل الاسمين في مبتدأ الأمر فاختصره المؤرخون وأصحاب الطبقات على ذلك .

وقد وصف الإمام عبد القادر القرشي المتوفى سنة سبعمائة وخمس وسبعين للهجرة هذا الكتاب بقوله: "هو كتاب لا يوازيه فيه كتاب بل لا يدانيه شيء من تصانيف من سبقه في ذلك الفن."(١)

وذكر صاحب "كشف الظنون" كتاب "تأويلات القرآن" تحت عنوان "تأويلات الماتريدية في بيان أصول أهل السنة وأصول التوحيد"، وصرح بأنه ثمانية مجلدات وأن الشيخ علاء الدين محمد بن أحمد هو الذي جمعه .

ومن التصانيف المنسوبة إلى الإمام أبي منصور الماتريدي كتاب "شرح الفقه الأكبر" وهو كتاب يُعرف محتواه من عنوانه، فقد تناول كتاب "الفقه الأكبر" لأبي حنيفة بالشرح والإيضاح والتفسير. (٢)

وفاته:- ذكر صاحب كتاب "كشف الظنون" أن الإمام الماتريدي توفي سنة ثلاثمائة واثنين وثلاثين للهجرة، غير أنه عاد بعد ذلك في مواطن أخرى فاتفق مع جمهرة المؤرخين على أن وفاته كانت سنة ثلاثمائة وثلاث وثلاثين للهجرة. وذكر عبد الله القرشي في "الفوائد البهية" بأنه توفي سنة ثلاثمائة وثلاث وثلاثين للهجرة، وأن قبره بسمرقند (٣) .

(١) الجواهر المضيئة أبو الوفا القرشي . -١٣٠/٢ . وينظر أبو منصور الماتريدي حياته وآراؤه العقدية بلقاسم الغالي التركي للنشر .

(٢) كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون ١٤٠٦/٢ .

(٣) كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون ١٤٠٦/٢ .

أقوال العلماء عنه وعن مذهبه

• يقول الكفوي في ترجمته : "إمام المتكلمين ومصحح عقائد المسلمين، نصره الله بالصراط المستقيم، فصار في نصرة الدين القويم، صنف التصانيف الجليلة، ورد أقوال أصحاب العقائد الباطلة" (١).

• وقال عنه الشيخ عبد الله مصطفى المراغي في كتابه الفتح المبين في طبقات الأصوليين: "إن أبا منصور قوي الحجة، فحماً في الخصومة، دافع عن عقائد المسلمين، ورد شبهات الملحدين" (٢).

• وقال الإمام حسن بن أبي عذبة صاحب الروضة البهية: "اعلم أن مدار جميع عقائد أهل السنة والجماعة على كلام قطبين: أحدهما: الإمام أبو الحسن الأشعري والثاني: الإمام أبو منصور الماتريدي. فكل من اتبع واحداً منهما اهتدى وسلم من الزيغ والفساد في عقيدته" (٣).

• وقال العلامة طاش كبري زاده في مفتاح السعادة" :ثم اعلم أن رئيس أهل السنة والجماعة في علم الكلام - يعني العقائد – رجلان، أحدهما حنفي والآخر شافعي، أما الحنفي فهو أبو منصور محمد بن محمود الماتريدي، إمام الهدى... وأما الآخر الشافعي فهو شيخ السنة ورئيس الجماعة إمام المتكلمين وناصر سنة سيد المرسلين والذاب عن الدين والساعي في حفظ عقائد المسلمين، أبو الحسن الأشعري البصري.. حامي جناب الشرع الشريف من الحديث المفترى، الذي قام في نصرة ملة الإسلام فنصرها نصراً مؤزراً."(٤)

---

(١) الفوائد البهية في تراجم الحنفية ٢٠٣ ، ٢٥٢.

(٢) معجم المؤلفين عمر رضا كحالة ٣٠٠/١١.

(٣) الروضة البهية فيما بين الأشاعرة والماتريدية الحسن بن عبد الحسن أبو عذبة ص٤ ط حيدر إبان الدكن ١٣٢٢هـ .

(٤) مفتاح السعادة ١٥١/٢ وما بعدها .

• وقال الإمام محمد زاهد الكوثري" : فالأشعري والماتريدي هما إماما أهل السنة والجماعة في مشارق الأرض ومغاربها، لهم كتب لا تحصى، وغالب ما وقع بين هذين الإمامين من الخلاف من قبيل الخلاف اللفظي، وقد دونت عدة كتب في ذلك، وقد أحسن تلخيصها البياضي في "إشارات المرام في عبارات الإمام" ونقل نصه الزبيدي في شرح الإحياء."(١)

• وقال الحافظ مرتضى الزبيدي في شرح إحياء علوم الدين: "إذا أطلق أهل السنة والجماعة فالمراد بهم الأشاعرة والماتريدية ."وقال أيضاً في موضع آخر: "والمراد بأهل السنة هم الفرق الأربعة، المحدثون والصوفية والأشاعرة والماتريدية."(٢)

(١) اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين الزبيدي ٥/٢ ، ١٤ ط مصر وينظر : كلمة فضيلة الإمام الأكبر في الشيشان مجلة الأزهر ص ٢٢ ، ٢٣ أغسطس ٢٠١٦م

(٢) اتحاف السادة المتقين ٥/٢ ، ١٤ .

الفرع الثانى :-
وجوده تعالى بين المنكرين والمثبتين

قبل أن أعرض لدليل الإتقان وما يتعلق به عند الإمـــام تفصـــيلا وبيان ما ركنت إليه في بحثى أجمل باقي الأدلة التي ذكرهـــا الأعـــلام الكرام من خلال رؤيتهم لأدلة الإمام في هذا الشأن .

بداية يعلم القارئ الجليل كما ذكر أعلامنا وشيوخنا الكبار مسألة وجوده تعالى دائرة بين أمرين :- الفريق الأول:- يـــرى أن وجـــوده تعالى واضح واظهر من أن يستدل عليه تعالى وفيه يقول الإمـــام ابـــن عطاء السكندري "إلهي كيف يستدل عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك ؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدل عليك ؟ ومتى بعدت حتى تكون الآثـــار هي التي توصل إليك ؟) [1] وقد ساق أحدهم أكثر من مائة دليل علـــى وجوده تعالى فقال الرجل البسيط ومتى غاب حتى يستدل عليه ؟ الأمر دائر في اطار الفطر السليمة التي أزالت الغبار والبراثن عنهـــا فكـــان جوابها على حد تعبير الأعرابي عند سؤاله من الأصمعي بـــم عرفـــت ربك ؟فأجاب :(البَعرةُ تدل على البعير، والأثَر يدل على المسير، ليـــل داجٍ، ونهار ساجٍ، وسماء ذات أبراج، أفلا تدل على الصانع الخبير؟)[2] ولكن فريقا آخر رأى أن مهمة هذا العلم الجليل "علم العقيدة "بجانـــب ذلك إثبات العقائد بإيراد الحجج ودفع الشبه ،ولما كان الإنسان لا يشـــبه الآخر في عقله آو فكره ويريد الحجة والآيات على صدق الدعوى كانت الادلة ساطعة من خلال الرؤية الإسلامية قرانا وسنة شـــارحة للعقـــل

(١) الحكم العطائية ابن عطاء الله السكندري دراسة محمد عبد المقصود هيكل طبعة مركز الأهرام للترجمة والنشر .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ١/ ١٦٣.

مجاله وعمله فالتطور الفكري من عصر لآخر ظاهر ومع مجريات الحياة ، وخلقة الإنسان من لدنه تعالى كانت الحقائق تترى على الجميع وطلب البرهان واضح من خلال مجادلات الأقوام لرسلهم وطلب الدليل إن كان هذا الحق فأمطر علينا حجارة من السماء" أو دلل على برهانك فألقي عصاه فاذا هي تلقف ما يأفكون" وكانت الرسل قواما وهداية لأقوامهم من لغة وبرهان ،وتسطير ذلك في القرآن كثير والماديون الذين واجههم الإمام وافحمهم بالبرهان يحتاجون للبرهان لأنهم ما تجاوزا الحس إلى غيره مع كونهم ينطقون بما وراءه وفى هذا الإطار بعونه تعالى نتعرض إجمالا لتلك الأدلة التي ساقها إمامنا وعلمنا إمام أهل السنة في إثبات وجوده تعالى وإليك إياها .

من خلال تصفح أدلة الإمام نجد أن الباحثين يدورون حولها مقسمين إياها من خلال أقوال الإمام إلى مايلى :-

الأول :- دليل النظر في أحوال العالم والتقلب فيه من حال إلى حال (الحدوث) وفيه دلالة على أن تدبيره من غيره .

الثاني :- العلية يقوم على ان كل معلول له عله اوجدته .

الثالث:- جواز العالم وإمكان أن يوجد أو لا يوجد وهى فكرة لها زراع فلسفي كما ورد في إشارات ابن سينا ومن قبله الفارابى .

الرابع :- دليل الاتساق والعناية :-والبعد عن الصدفة والعبث(١).

الخامس :- دليل الخلق "الاختراع "والإبداع معروف في الإنسان وغيره مؤكدا أن خالقه ليس عله مادية كما تصورها الطبيعيون والماديون بل الفاعل الحقيقي لها هو الله(٢).

---

(١) ينظر: الله العقاد ٢١٤ وينظر التوحيد الإمام الماتريدي ١٥ وما بعدها وينظر إشارات المرام البياضي صـــ ٩٣.

(٢) التوحيد الماتريدي صـــ ١٥-٢١ وما بعدها وينظر مناهج الأدلة ابن رشد ت محمود قاسم ٩٩.

الفرع الثالث
دليل الإتقان في مواجهة الملحدين

دليل الإتقان

*من الأدلة التي ساقها الإمام الجليل في هذا الشأن ما يعرف عنده بدليل الصنع والإتقان والإحكام البديع والحساب الدقيق حيث يرى الإمام انه ليس نتيجة قوة عمياء ،ولا محض الصدفة كما يدعى الماديون بل وراء ذلك قوة مدبرة عليمة ، ضبطت كل شيء بمقدار ، وقدرت ذلك بحكمه فأتقنت صنع كل شئ " كالأوقات من الليل والنهار والساعات، ودخول بعضها على بعض على قدر الحاجات في تنظيم عجيب [١]، وهو المعنى المشار إليه في الآية الكريمة : ﴿ ...مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ ...﴿٣﴾ ﴾ [٢] وفى قوله تعالى : ﴿ ...وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ ﴾ [٣] وفى مثل قوله تعالى : ﴿ ... وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [٤] وفى قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [٥]

هناك أسباب عديدة كانت من وراء تجاهل هؤلاء وجوده تعالى على الرغم من كونها قضيه فطرية غرزت وجبلت النفوس على معرفته تعالى حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [٦]، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ

(١) التوحيد ٢٢.
(٢) سورة الملك جزء من الآية ٣.
(٣) سورة الرعد جزء من الآية ٨.
(٤) سورة الفرقان جزء من الآية ٢ .
(٥) سورة القمر الآية ٤٩.
(٦) سورة الروم الآية ٣.

ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ [1] وقوله عليه الصلاة والسلام : (ما مِن مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ علَى الفِطْرَةِ، فأبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أوْ يُنَصِّرَانِهِ، أوْ يُمَجِّسَانِهِ، كما تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِن جَدْعَاءَ، ثُمَّ يقولُ أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عنْه: {فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا}[2] .

وتلك المظاهر لا ينكرها إلا الجاحدون وسيأتي بيان إنكارهم ولكن بداية نقول .

لقد فطن الإمام رحمه الله لتقولات السفهاء في عصره وظنون العقل المستمرة ممن لا يريدون إعماله أو ممن زين لهم سوء أعمالهم فرأوه حسنا فصور كلامهم وأنزله إلى مرتبة الرد البرهاني عليهم وإليك أيها القارئ الجليل شبهتهم :-

قولهم لو كان نظام الكائنات مخلوقا من إله حكيم، لكان موضوعا بقصد وحكمة، ولكانت علامات القصد والحكمة تامة في كل شيء، إلا أننا نرى في العالم أشياء لا تنطبق على القصد والحكمة.

** أما الجهل للحكم وما وراء الأشياء لا يعد دليلا أو دافعا لإنكار الإله ووجوده ومن هنا لقمهم الإمام الحجج الدامغة بقوله "هل من المعقول الإحاطة بحكمة الربوبية في جميع الموجودات ؟وقد نبه الإمام الى ذلك في عدة مواضع عديدة في كتابه التوحيد فالحساب الدقيق لجميع الموجودات لكل شيء تبدو عليه مظاهر التنظيم في ذاته ومع غيره من الموجودات في توازن شامل مع غيره من الموجودات الأخرى

وألمع الإمام إلى ذلك بعقلية واعية ببيانه نحو العالم وما فيه قائلا:- (إن خروج كل ذي عقل بفعله عن طريق الحكمة قبيح عنه

(١) سورة الاعراف ١٧٢.

(٢) أخرجه الإمام البخاري ك . القدر باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ٢/ ٩٥ . ١٣٥٩ هـ وكذا الإمام مسلم كتاب القدر باب معني كل مولود يولد على الفترة ٢٠٤٨/٤ .

فلا يحتمل أن يكون العالم العقل منه جزء مؤسسا على غير الحكمة أو مجعولا عبثا [1].

ويفهم من هذا أن القوم قاسوا بعقولهم القاصرة علم المولى عز وجل مع أن الله تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة في فالأرض ولا في السماء والآيات كثر في كتاب الله تعالى، كما أنه تعالى بحكمته البالغة خبير بعباده ما نراه وما لانراه وهذا ما يفعله الماديون عند مراقبة شيء ما في وقت واحد وتتهافت اجوبتهم رغم تقنياتهم الواسعة في نظرهم والمفترض عقلا عند جهل الإنسان لأمر ما وما وراءه من علل أو حكم إلا يحكم ويصادر على آراء الآخرين خاصة أن علومهم احتمالية نسبيه: ولكن المهيمن سبحانه وتعالى قطع الأمر على المقربين من الملائكة وغيرهم قائلا : ﴿... قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [2] ثم من جهة أخرى كيف يكون إلها وهو يتسم تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا بالعبث وعدم الدقة في أفعاله وكل ما حولنا من نظام ودقه يشهد بذلك،! وإلا كما سطر العلماء أنه يعود للحادث وهنا تتساوى العقول فأي عقل أولى من عقل! ويدور الأمر وبتسلسل إلى مالا نهاية وهو باطل عقلا، ثم إنهم في أوديتهم وأروقتهم ومعاملهم ما استطاعوا تفسير ما يحدث حولهم من آيات باهرات في الكون كله بما فيه الإنسان نفسه، ويلجئون إلى صوت الفطرة عند شدائدهم وما يلحق بهم ولكن هيهات وفى هذا يقول الإمام رحمه الله "وأصل ذلك أنه لا يعاين منه شيء إلا وفيه حكمة عجيبة ودلالة بديعية مما يعجز الحكماء عن ادراك مائيته[3] وكيفية

(١) ينظر التوحيد الماتريدي . ص ٦٧ ط دار صادر.

(٢) سورة البقرة جزء من الآية ٣٠ .

(٣) المائية : مابه الشئ هو هو ، وتطلق غالبا على الامر المتعقل مثل المتعقل من الانسان وهو الحيوان الناطق . التعريفات الجرجانى ١٩٥ ط دار الكتب العلمية.

خروجه على ما خرج، وعلم كل احد منهم بقصور عقله على ما عنده من الحكمة والعلم عن ادراك كنه ذلك ، ففي هذه الضرورة وغيرها دلالة حكيمه مبدعها وخالقها، ولا قوة إلا بالله "[١]. وقد **أبدع الإمام الرازي** ونبه إلى الإحكام والإتقان مناديا الفطر السليمة لتحكم بذلك معضدة بالعقول الواعية من خلال مثال عملي محسوس يدحض آراء الماديين ومن سار على نهجهم فقال :-" (إن الفطرة شاهدٌ بأن حدوث دارٍ منقوشةٍ بالنقوش العجيبة، مبنيةٍ على التركيبات اللطيفة الموافقة للحكم والمصلحة يستحيل إلا عند وجود نقاشٍ عالمٍ، وبانٍ حكيمٍ، ومعلومٌ أن آثار الحكمة في العالم العلوي والسفلي أكثر من آثار الحكمة في تلك الدار المختصرة، فلما شهدت الفطرة الأصليّة بافتقار النقش إلى النقّاش، والبنّاء إلى الباني، فبأن تشهد بافتقار كل هذا العالم إلى الفاعل المختار الحكيم كان أولى[٢]..

* وقد سطر صاحب الفقه الأكبر "الإمام ابى حنيفة –رحمه الله . في غير ما موضع من كتبه انكاره لما يدعى بالصدفة والتخبط والعشوائية التي تدعى من قبل هؤلاء على الرغم مما يرونه اتساقا وأوزانا بالكون قائلا لهم:- "ان سفينه مشحونة بالأحمال ،احاطت بها من جهة أمواج متلاطمة يضرب بعضها بعضا ورياح مختلفة تهب من كل جهة ان تجرى بنفسها مستويه لا تميل الى طرف ولا تقف وقفه مع تصادم الرياح المختلفة والحال انه ليس احد يجريها ويقودها مستوية[٣] فكذلك يستحيل على العقل أن يصدق قيام هذا العالم من السماوات والأرض وما فيهما بنفسه على اتلاف أحواله من حركات السماوات

(١) التوحيد – الماتريدى ٨٤.

(٢) ينظر التفسير الكبير الرازى ج١٩/٩٩ ط دار الفكر.

(٣) إشارات المرام من عبارات الإمام أبي حنيفة النعمان.كمال البياضي ٦٨ طبعة دار الكتب العلمية.

وسكون الأرض، واختلافها في الكيفيات وما خص بـه الإنسـان مـن الهيئات باستجماع أنواع الكمالات من غير صانع واجب بالذات .

المنطق السليم يسلم أن هذه الظـواهر الكونيـة فـي الإنسـان والحيوان ... الخ براهين ساطعه بأن ورائها عليم حكيم قد نظم وذلـك لأن المتناقضات العقلية تأبى خلاف ذلك تنسيق عجيب ، وترتيب بـديع بلا منسق ولا مرتب امر باطل حسا وعقلا لكل ذي لب سليم .

ويقول في موضع اخر مبرزا دقه الصنع والإبداع فـي الجانـب الإنساني ان من تأمل لين المفاصل في الإنسان وكيفية تهيئتهـا حتـى صار بها يقبض ويبسط ويتقلب على مختلف الاحـوال، وينتشـر فـي مفترق الافعال لعلم ان ذلك ليس من فعل المادة العمياء .

ومن هنا آن للعقل أن يخرج من عقمه وينهض من سباته وهذا ما أكده بعض المنصفين عند توالى الآيات وتتابعها على عقله ولكنه مـع فراره من الواقع أبى الواقع إلا أن يكون دافعه إلى الاعتراف بإله حكيم.

فهذا الفيلسوف الفرنسـي جـون دو لا بـوبير Jean de LA BRUYÈRE يقول في أحد كتبه : " العجز الذي أعانيه هو أنه كلمـا حاولتُ البرهنة على عدم وجود الله، يجعلني ذلك أكتشف أدلةً لوجوده "

وهذا ما أكده فولتيرVoltaire حين قال: " إذا كانت الساعة تـدلّ على وجود صانعٍ ساعاتيٍّ، لكن الكون لا يدلّ على وجود مهندسٍ كبيرٍ، إذاً أعترفُ حينها أني سفيهٌ" (١)

القارئ الجليل إذا كان الاعتراف بالخالق أمرا فطريا وشهد بذلك بعض المنصفين من الغرب علماء وغيرهم فلماذا الإعراض والواقع أن إزاله هذا الغبار وما ران على العقل من البيئات المظلمة يحتاج لجهـد

(١) ينظر كتاب الخصائص – فرنسي –، الصفحة : ٤٥٢ ينظر: إعادة اكتشاف الإله بالمنطق – فرنسي – لأنطوني جيلفو Anthony Ghelfo ، ص : ٦٢.

أكيد وعمل دؤوب وهذا ما صنعه الإمام الجليل ليحي مـــوات القلـــوب فضلا عن العقول وهؤلاء القوم لا يردون انصـــافا واعترافـــا بحكمـــة الحكيم رغم انقلاب البصر ذليلا وهو حسير فـــي آلاء الله وأنعمـــه:- إما لأنهم مرضى ليس مرضا عضويا ولكنه مرض قلبي فلهـــم قلـــوب لا يفقهون بها ولم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها كما حكى المولى عز وجل ووصفه بانهم حصب جهنم لها واردون ٠

ومع نطق البعض منهم كبسكال وهو عالم فرنسى مولـــود بتلـــك البيئة يكليرمون سنة ١٦٣٣ قائلا كل شـــيء غيـــر الله لا يشـــفى لنـــا غليلا.(١)

فقد عطل هؤلاء ما أعطاهم الله به ولم يوجهوه إلـــى الاعتـــراف بوجوده تعالى رغم ما يرونه وذلك أيضا عائد لماديتهم البغيضـــة فهـــم لا يؤمنون ألا بما أدركته حواسهم مع أن العقل يكذب ذلك والحس فقط لا يعد مصدرا للمعرفة. وليقرأ هؤلاء التاريخ جيدا ليفقهوا أقوال الإمام الماتريدي –رحمه الله– وبصيرته بذاك. حدث عن المجتمع اليوناني وما أصابه جراء سفسطة السوفسطائين عندية وعنادية ناهيك عن اللا أدرية وغيرهم وحملة سقراط ضدهم تهكما وتوليدا ارجاعا للعقول لصـــوابها، فضلا عن تصحيح الفكر المجتمع الإنجليزي من لدن بيكون وإخراجـــه من اوهامه الاربع الكهف والجنس والسوق والمسرح. فـــالكون ملـــئ بالموجودات التي لا تقع تحت الحس ولا تعرف عن طريق الرؤية وإنما نستدل عليها عقلا من خلال آثارها، بل إن العقل نفســـه أداة المنطـــق والتفكير لا يستطيع أي ملحد أن يحدد لنا كيف يفكر به؟ وأين يقع هـــذا الترجمان الإنساني منه .

(١) ينظر دائرة المعارف لفريد وجدى ٤٨٢/١ وما بعدها .

الفرع الرابع :-
الإتقان والعلم الحديث

القارئ الجليل انطلاقا من قوله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ [1] وقد انطلق الشيخ أيضا إلى جانب الادلة الكونية الى النفس ومحلها لتكون داعية إلى بارئها وخالقا فقد ذكر ان عرف نفسه فقد عرف ربه . وانطلاقا من هذا المقام يعرض البحث لبعض الجوانب والتي تعد نقضا لأرباب القول بالصدفة ومن يقولون بالطبيعية الخالقة في زعمهم فلئن سالتهم عن الخلق وصوره المتعددة شمسا وقمرا ... الخ ليقولن لك الطبيعية .أي طبيعة تلك التي يتحدثون عنها والواقع أن الكلام متهافت عن التحقيق فهو جدال بدون علم ومتى كانت تلك الخصائص التي يزعمون إياها إنكارا لوجوده تعالى بل من ذلك أوجد تلك الطبيعية بصورها؟ وأين القائل في خلق الله وهو يتحداهم بقوله تعالى : ﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾ ﴾ [2] وهو جدال يبغيه بعض الناس مكابرة واتباعا للهوى وفيه نقرأ قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [3] ثم إن هؤلاء القوم لم يتفكروا في تلك الطبيعية وما يرمونها به وهى منه براء فالخصائص التي يتكلمون عنها ليس من شأنها إثبات الأزلية بل تتخلف أمورها فإذا تتبعنا إنبات الحبة مثلا فأنها تمر بمراحل عديدة والكل يعلمها منها يظهر الرشيم وتندفع الجذور إلى بطن الأرض، والساق إلى

(١) سورة فصلت الآية ٥٣.

(٢) سورة الكهف الآية ٥١.

(٣) سورة الجاثية الآية ٢٣.

أعلى وتنشأ الأوراق فالأزهار فالثمار. فاذا كانت كل مرحلة خاصية لها سماتها برايهم ايجادا واعداما وهو امر مردود عليهم عقلا لما يلى :"

لتخلف هذا القانون فقد تجتمع هذه الأشياء ولا تنبت الحبة. فدل هذا على عدم خلق الحبة لنفسها فكيف ينشئ الشيء نفسه ؟ ومن جهة أخرى لو كانت للحبة عقل وتدبير لقلنا إن عقلها هو الذى هيأ لها ذلك، ولو أن الماء هو الذى نفخها وفلقها لأمكن للماء أن ينفخ الحديد ويفلقه ولكن ههيهات ولماذا انتفخت الحبة ولم تتجمد ؟.

ولقد أشار الشيخ الإمام رحمه الله عند عرضه لتلك الأدلة الساطعة برد العقل إلى أي الله تعالى تفكرا وعظة ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [1] فالأمر أيها القارئ الجليل يحتاج قطعا في مثال الحبة المعروض لعقل وإدراك ومنهاج مرسوم من قبل الحبة وهى لا تملك شيئا. فالقابلية ما هي إلا صفة من صفات الشيء فكيف تخلقه؟ وأن الحبة بالنسبة للنبات جماد لا يعقل فكيف تنوعه وقد نبه إلى ذلك العلامة "الماتريدي" مبينا أن الطابع لا يصلح لأن يكون صانعا لأنه يجب أن يكون مختارا لا مقهورا وإلا بطل كونه صانعا يقول الإمام الماتريدى : وأما أصحاب الطبائع فأن الطابع مقهور لا يقدر عن الامتناع عما طبع عليه ،بل يقدر غير كل ذى طبع أن يمنع إياه عن توليده فثبت أن عمله لغيره ما يعمل، إذ قد يمنع بغيره عن العمل، ولو كان بنفسه يعمل ذلك ما احتمل مادامت نفسه مع ما إذا كان لا يمتنع من عمل ثبت أنه مقهور تحت قاهر عليم" [2][3] ومن هنا حكمة الحكيم وقدرة القدير رب العالمين من

(١) سورة آل عمران ١٩٠.

(٢) التوحيد – الماتريدى ١٨٤.

(٣) الجانب النقدي في المسائل الكلامية عند الامام الماتريدى تأليف محمد خليل النويهى - الأولى - النور المبين للدراسات والنشر.

خلال سورة الرعد يقول لنا سبحانه وتعالى: ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤ ﴾ (١) ويقول تعالى : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ٩٥ ﴾ (٢) والكون في تقدير حكيم من لدن الله فما رأينا الشمس تأبى وهى في نظرهم خالقه تأبى عن عملها، وكذا القمر وغيرهما فأين تلك الخصائص ولما لم تحفظ لنفسها بداخلها حياتها وتخلد باعتبارها خالقه في زعمهم؟ الواقع يقول أن الآيات واضحة فربنا الحق فماذا بعد الحق إلا الضلال فأنى تصرفون !

ومن مشرب الإمام للفهم الناصع لكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم يتحدى هؤلاء الذين يبغونها عوجا موضحا وجهتهم بقوله منهم (من يقول بخروج الخلق على ما عليه بالطبائع والأغذية ،ومن يقول ذلك عمل النجم والشمس والقمر ،ومن يقول ذلك بدوران الفلك ، ومن يقول بالتوالد بتدبير الآباء والأمهات ، يرجع كله إلى كون شيء بشيء إذا لم يثبت له أولية يبطل بالأدلة التي تم ذكرها) (٣)

ومن هذا المنطلق فإن الإمام الجليل تحدث قلبه قبل لسانه بوجود خالق عليم حكيم، وهذا ما نشاهده في أي مجتمع صدّر على صنعته قوله صنع في كذا ونسب الصنعة لموطنها ولكنك إن ناظرته قائلا: إن المصنوع الذى نسبته لموطنك جاء صدفه اتهمك بالسفة. إذن فمال

(١) سورة الرعد الآية ٤
(٢) سورة الأنعام الآية ٩٥
(٣) التوحيد ١٢٣ وما بعدها .

هؤلاء القوم يؤمنون بفكرتهم ولا يؤمنون بما يرونه من نظـــام دقيـــق يسرى في أجسادهم وأروقتهم فضلا عمن حولهم .

تحدث الإمام الجليل عن الخلق وصوره ودقته المبنى على علمه وارادته تعالى وعن العلية وما كان من امرها مواجهة لهؤلاء إلا ما كان خارقا للعادة فهي أمور لبنى البشر تسيرا لحياتهم سنه الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تحويلا، فكل مخلوق له خالق تصديقا لقوله تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (١).

القارئ الجليل :- في صدر البحث بينت من خلال رؤية الإمام ورفضه لتقولات القوم وزعمهم الباطل كالطبيعيين والدهريين ومن على شاكلتهم وهذا إلهام للرجل وكرامه لأوليائه حسبهم ربهم ولا نزكى على الله أحدا. فالقول بالصدفة العمياء الذى ركن إليه هؤلاء القوم في قول بعضهم "لو جلست ستة من القرود على ست آلات كاتبة وظلت تضرب على حروفها لملايين السنيين.

فلا نستبعد أن نجد في بعض الأوراق الأخيرة التي كتبوها قصيدة من قصائد شكسبير فكذلك الكون كله الموجود الآن نتيجة لعمليات عمياء ظلت تدور في المادة لبلايين السنين . (٢)

هذا دأبهم وديدنهم .ولكن ماذا عن الأرض واستوائها. لو كانت قشرتها أسمك مما عليه بمقدار بضعة أقدام لامتص ثاني اكسيد الكربون والاكسجين ولما أمكن وجود حياة اين الصدفة مع هذا ؟

القارئ الجليل : نبه الإمام العظيم إلى تلك التغيرات التي تحدث في العالم مثبتا من خلالها وجود مغير هو الله وإلا لكانت حفظت لنفسها

(١) سورة الطور الآية ٣٥.

(٢) الاسلام يتحدى ٦٩ وينظر العلم يدعو إلى الإيمان كريس موريسو ٦٤ دار الفكر.

صورة واحدة ومن جملة هذا العالم الإنسان الحادث وعن هذا يطالعنا قول الإمام أبى منصور شارحا دليل الحدوث "(ان العالم لو كان بنفسه لم يكن وقت أحق به من وقت ،ولا حال أولى به من حال ، ولا صفة أليق به من صفة ، وإذا كان على أوقات وأحوال وصفات مختلفة ثبت أنه لم يكن به)[1]حيث يقول المولى عز وجل : ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾[2]

وقد تابع الامام جملة عديدة من المتكلمين عبر العصور المختلفة وفى العصر الحديث مثلا نجد موجه الشك أبان عصر ديكارت[3] والذى تناول مراتبه ودرجات اليقين من خلال اثبات وجود النفس ثم الإله في زعمه ثم العالم الخارجي وهذا ما أنطقه بشكه المنهجي المسبوق إليه بحجة الإسلام مبينا عند إثباته للإله في نظره إلى قضية النقص والتغير من حال إلى حال فلو خلق الإنسان نفسه لمنحها الكمال أما وإن النقص يعتريه فدل هذا على أن له مغيرا غيره وهو ربيب الفلسفة الإسلامية متأثرا بأعلامها الكبار كما اثبت التاريخ .

أيضا أعطى ونبه الإمام الى النظرة التأملية للخلق في أحسن تقــويم لكل شيء ومنه بنو البشر ولكن الإنسان المكرم يتحدى الأخريين والحقيقة أنه لا يخدع إلا نفسه فيقول ارنست هيكل "ايتونى بالهواء والماء وبالأجزاء الكيماوية وبالوقت سأخلق الإنسان "ولكن كريس موريس رئيس أكاديميــة

(١) التوحيد –الماتريدى ٨٣ .

(٢) سورة الروم الآية ٥٤.

(٣) دراسات في الفلسفة الحديثة د.محمود حمدي زقزوق صـــ١٠٦ طبعة دار الطباعة المحمدية وينظر التأملات صـــ١٥٥ومشكاة الأنوار ٧١ طبعة القاهرة ١٩٦٤.

العلوم الأمريكية بنيويورك أفحمه قائلا:. إن هيكل يتجاهل في دعواه الجينات الوراثية ومسالة الحياة نفسها فإن أول شئ سيحتاج إليه عند خلق الإنسان هو الذرات التي لا سبيل لمشاهدتها، ثم يخلق الجينات ،أو حملة الاستعدادات الوراثية بعد ترتيب هذه الذرات حتى يعطيها ثوب الحياة... ولكن إمكان الخلق في هذه المحاولة بعيد لا يعدو واحدا على عدة بلايين. ولو افترضنا أن هيكل نجح في محاولته فإنه لن يسميها صدفة بل سوف يقررها ويعدها نتيجة لعبقريته. (١)

وقد وجه الإمام الأنظار إلى تدبر القران الكريم جيدا وصولا من خلاله إلى خالق مدبر يتحدى هؤلاء ومن على شاكلتهم بما يرونه وما يحسونه ولايقدرون على مقابلته قائلا سبحانه وتعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ ﴾ (٢)

هذا وتوصي الدراسة بضرورة التركيز على الفكر الماتريدي داخل جميع المؤسسات العلمية لأنها تمثل أحد جناحي مذهب أهل السنة والجماعة من ناحية، ومن جهة أخرى تمثل جانبا عمليا يتعلق بالتكاليف العلمية وتطبيقها على الدراسات الحديثة لأنها بمثابة انفتاح عقلي وعملي دفعا وصدا منيعا لكل المخالفين والمشككين في العقيدة .

رحم الله إمامنا الجليل، ورفع ذكره في الأولين والآخرين وحفظ تراثنا سندا وعونا لكل العالمين .

(١) الإسلام يتحدى ١٠٨.
(٢) سورة الحج الآية ٧٣.